

الجزء الثاني

obeykandi.com

الباب الخامس

النهضة الأوربية والتربية الأدبية

في القرن السادس عشر

ما كاد القرن الخامس عشر يستكمل مدته ، حتى ظهرت في العالم أمارات يمن وعلامات خير ، تبشر بأن العصور المظلمة الطويلة عصور الجهل والظلم والاستبداد قد تقلص ظلمها ، وتقصعت سحبها ، وأن عصوراً أخرى زاهية زاهرة أخذت تشق حجب الظلمات ، وتشرق على الإنسان بنور العلم وضياء الحرية ، تلك هي عصور النهضة الأوربية في أعلى منازلها وأبهى حالاتها .

جاءت النهضة فجاء معها العلم والنور ، وتغيرت لها وجوه السياسة وأحوال الاجتماع ، ونهضت المدنية الغربية ، ووجدت الحرية سبيلها إلى النفوس ، حتى أجمع رجال العلم على أنه لم يعهد في تاريخ البشر حادث له من التأثير في إعلاء شأن الإنسان ورفع مدنيته وإصلاح أحواله مثل ما لهذه النهضة .

وقد اختلف المؤرخون في تعيين مبدأ هذه النهضة ، فمن قائل إنها ابتدأت منذ القرن الثالث عشر ، ومن قائل إنها ابتدأت بعد ذلك ، ولكنهم جميعاً متفقون على أنها عاشت فتية قوية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وبلغت غاية مجدها في القرن السادس عشر . على أنها لم تأت مفاجأة ولم تباغت الناس مباغته ، وإنما تقدمتها حوادث كثيرة مهدت لها الطريق ، وساعدت على ظهورها وانتشارها في جميع القارة الأوربية . وإليك أهم هذه الحوادث :-

(١) إحياء الآداب والمعارف القديمة : وقد كان ذلك أكبر عامل في ظهور النهضة ، فإنه فتح للناس كنوز الآداب الإغريقية والرومية ، ومهد سبلاً جديدة للتربية والتهذيب ، ونبه على معائب التربية الكنسية القديمة ، وبعث في النفوس حب تاريخ التربية (٢٦)

البحث والتنقيب ، وساعد على تحرير الفكر وفك قيوده . هذا إلى أثره في إضعاف سلطان الكنيسة ، والقضاء على ما تمتع به رجال الدين من السيطرة والنفوذ .

(٢) اختراع البارود : وقد تغيرت له النظم الاجتماعية السائدة في القرون الوسطى ، إذ قضى على نظام الفروسية ذى الشأن الخطير في تلك القرون ، وسلب الفرسان ما كان لهم من النفوذ والسلطان في هاتيك الأزمان ، ونهض بالطبقة المنتجة طبقة الزراع والصناع إلى غاية ما كانت ظنونهم تحوم حولها لولا ما أحدثه من هذا التغيير وذلك الانقلاب . كان الفارس الواحد قبل اهتداء الناس إلى استخدام البارود إذا لبس لأتمته وركب جواده وذهب إلى ميدان القتال شاكى السلاح ، رأى الناس فيه من البأس والقوة ما كان يظهر به على جماعات كثيرة من مشاة الجنود ، ولذلك كانت قوى الجيوش تقاس في تلك الأزمان بعدد من فيها من الفرسان المدربين . فلما اخترع البارود واهتدى الناس إلى استخدامه في القرن الرابع عشر ، حالت الأحوال وتغيرت الأمور ، فأصبح الجندى الضعيف من الجنود المشاة المؤهبن بالبندق أصدق بأساً ، وأجدى في الحروب من الفارس المدل بجواده ولباسه . لذلك لم يك ثم بد من خذلان نظام الفروسية وتحطاط شأنها .

(٣) كشف القارة الأمريكية والطرق البحرية إلى جزائر الهند الغربية : فقد كان لذلك أعظم فضل في انتشار العلم وتوسيع المعارف الإنسانية ، ونبذ الخرافات السائدة ، واتساع الأعمال التجارية وسيرها في طرق جديدة .

(٤) اهتداء كوبرنيق الألمانى (١٤٧٣ - ١٥٤٣) إلى وضع نظام فلكى جديد أثبت فيه أن الأرض تدور حول الشمس ، ناقضاً ما ذهب إليه بطليموس قديماً من أن الأرض مركز الكون .

(٥) اختراع فن الطباعة في أواسط القرن الخامس عشر : وهو من أعظم هذه الأمور أثراً ، فقد ساعد على نشر العلوم والمعارف مساعدة يقصر دونها الوصف . كان الناس في الأزمان القديمة يحملهم الحرص على نشر المعارف أن ينسخوا الكتب العظيمة والمجلدات الضخمة بأيديهم ، فيقبل الناس على شرائها رغبة في الاعتراف من حياض

العلم ، إلا أن أثمانها كانت غالية لا يقدر عليها إلا ذوو اليسار ، فضلاً على ندرتها وعناء النسخ في كتابتها ، فلما اخترعت الطباعة كثرت الكتب ورخصت أثمانها ، وأصبح في وسع الغنى والفقير شراؤها والانتفاع بها .

كل حادثة من هذه الحوادث التي سردناها كانت عاملاً في رفع الحياة الإنسانية إلى مستوى أرفع وأعلى مما كان لها في العصور السابقة ، حتى إذا جاءت النهضة وجدت الطريق معبداً ، فسارت بالناس في نشأة جديدة من الفكر والخلق والدين .

إحياء الآداب والمعارف

النهضة الأدبية

إن إحياء العلوم والمعارف القديمة الذي ابتدأ في إيطاليا وانتشر منها إلى جهات الشمال وكان له من الآثار في تحرير الأفكار ورفع مستوى الحياة بين الناس ما قدمنا هو الوجه الأدبي للنهضة ، والمنحى الذي يعنى رجال التربية من مناحيها المختلفة . ولذلك نرى الحاجة ماسة إلى تفصيل نشأته في أشهر الممالك الأوربية .

النهضة الأدبية في إيطاليا : —

كانت إيطاليا أسبق الممالك إلى الأخذ بأسباب النهضة الأدبية ، والعمل على إحياء



دانتي

الآداب الإغريقية واللاتينية . وأول من ظهر فيهم روح هذه النهضة وفكوا من أعناقهم قيود العصور المظلمة وحاربوا التقاليد القديمة ، ثلاثة من أكبر كتاب الإيطاليين في القرن الرابع عشر ، هم دانتي . وبتراركو . وبوكاشيو . رأى هؤلاء ما امتلأت به كتب الأقدمين من العلوم والمعارف التي تسمو دراستها بالفكر وتمهض بالحياة ، وبأن لهم أن اليونان والروم بحثوا في مسائل الحياة ومشاكلها ؛ وفهموا منها ما لم يفهمه رجال العلم في القرون الوسطى ،

فتاقت نفوسهم إلى مطالعة آدابهم ودراسة علومهم ، فعكفوا عليها برغبة خالصة ، وعزيمة صادقة ، وبذلوا ما استطاعوا من جهد في تحصيلها واقتناء أسفارها ، ثم أخذوا في تشويق الناس إليها وترغيبهم فيها ، فحالفهم التوفيق وصادفهم النجاح ؛ ونشروا بين شعبهم من المبادئ القويمة ما بعث فيهم حرية التفكير ، وحبُّ البحث والتنقيب ، وكرهَ إليهم



بُوكَشِيُو



بِتْرَارْكَ

التعلق بالخرافات القديمة التي كان يذيعها بينهم رجال الدين . وما لبثوا أن ذاع صيتهم وسار ذكرهم في أرجاء المعمور ، فهرع إليهم الطلاب من قريب وبعيد ، فأخذوا عنهم ثم عادوا إلى أوطانهم فنشروا فيها مبادئ الحرية الفكرية ، وغرسوا بذور النهضة الأدبية ، فنمت هناك وأنبثت من كل زوج بهيج .

كانت عناية هؤلاء الأبطال الثلاثة باللغة اللاتينية تفوق عنايتهم باللغة الإغريقية ، فنقدمت بذلك دراسة الأولى في البلاد الإيطالية تقدماً عظيماً . وبقيت اللغة الإغريقية أزماناً وهي بطيئة السير ، قليلة النجاح ، على الرغم من الرغبة الشديدة في معرفة ما احتوته من آداب ومعارف . وأول من نهض بدراسة هذه اللغة نهوضاً يذكر في الممالك الغربية رجل إغريقي يدعى « مَنَوِيل كَرِسُولُوراس » جاء إلى إيطاليا واستوطنها سنة ١٣٩٦ ، فرغب إليه الأهلون في تدريس لغته في مدارسهم فارتاح إلى العمل

وقبله ، فنصبوه أستاذاً في جامعة فلورنس حيث اشتغل بتدريس هذه اللغة من سنة ١٣٩٧ إلى سنة ١٤٠٠ ، ثم غادرها إلى جامعات أخرى في المملكة الإيطالية أيضاً . ولقد أتى بأعمال عظيمة أثناء اشتغاله بالتدريس ، فترجم كتباً إغريقية كثيرة إلى اللغة اللاتينية التي ذاع انتشارها بين الإيطاليين ، وألف كتباً ورسائل في قواعد اللغة الإغريقية ، وأسّس جملة من المدارس ، ونبغ على يديه كثير من الطلاب الذين كان لهم فيما بعد آثار تذكر في نشر الآداب والمعارف القديمة في هذه البلاد . ولقد لحق بهذا النابغة الإغريقي كثيرون من أهل وطنه ، فنصبوا أساتذة مثله وشاركوه في عمله . ولما أغار الأتراك على القسطنطينية وفتحوها سنة ١٤٥٣ وكانت لا تزال حافلة بعلماء الإغريق ، تخوف هؤلاء شرور الدولة المغيرة ، وحذروا ما قد ينالهم من عسف واضطهاد ، فهاجر كثير منهم إلى المدن الإيطالية ونقلوا معهم كثيراً من الكتب الإغريقية النفيسة التي لم تكن معروفة لغيرهم من علماء أوروبا ، فرحب الإيطاليون بمقدمهم ، وأكرم الأمراء والأعيان وفادتهم ، ونصبوهم أساتذة في المدارس والجامعات ، فأقبلوا على العمل وأفاحوا في تشويق الناس إلى علومهم ، واستماله الطلاب إلى آدابهم ، وكثرت الرحلة إليهم في طلب العلم ، حتى لقد أتى عليهم حين من الدهر وهم يدعون أساتذة أوروبا ومعلميها . وقد أخذ الأمراء والبابوات يتنافسون في معاضدتهم ومعاونتهم في العمل الذي قاموا به ، فجمعت الكتب القديمة ، ونُحِص عن المنسوخات في الكنائس والأديار ، وترجم منها إلى اللاتينية والإيطالية عدد وفير ، وأسست الجامعات العامية ، وأنشئت المدارس ، وبنيت دور الكتب ، وفاضت المدائن بالعلوم والآداب . ومن البابوات الذين لهم أثر حسن في إنهاء هذه الحركة (نقولا الخامس) ، فهو الذي أنشأ دار الكتب البابوية (مكتبة الفاتيكان) الدائنة الصيت في رومة ، وجمع لها من المنسوخات الإغريقية واللاتينية ما عز وجوده ، وامتألت به خزائنها . ومنهم أيضاً (يوليو العاشر) فبفضل معاضدته وتشجيعه هذه الحركة المباركة أصبحت رومة في زمنه كعبة العلوم والآداب القديمة ، يؤمها الطلاب وينسبون إليها من جميع الأرجاء الأوربية ليأخذوا عن علمائها ما شاءوا أن ينقلوه إلى بلادهم وأوطانهم .

آثار النهضة الأدبية في إيطاليا :

لا ننكر أن النهضة الأدبية رفعت من شأن الحياة الفكرية في إيطاليا ، وروجت سوق العلوم والآداب فيها ، وشفّت أهلها من داء الجهل الذي ساد العقول في القرون الوسطى ، إلا أن ذلك - والأسف ملء القلوب - كان على حساب الفضيلة والدين . غلا الإيطاليون في حريتهم الفكرية ، وأورثتهم دراسة الآداب القديمة عقائد وآراء جديدة في الدين والدنيا ، وأولّوا ما وضعه زعمائهم من الآداب والمبادئ تأويلًا يلائم أهواءهم ونزعاتهم الشهوانية ، فمالوا إلى الإلحاد ، ورجعوا إلى كثير من تقاليد الوثنية القديمة ، وحادوا عن الأصول المسيحية الصحيحة ، وانغمسوا في الملاذ والشهوات ، وتورطوا في الفسوق والعصيان . وقد يرجع السرفى ذلك إلى أمرين : - أولهما ما انتشر بين رجال الدين في ذلك الوقت من أنواع الإثم . وثانيهما ما فطر عليه الإيطاليون من السجاياء الملتهبة والطبائع النزاعة الى الشهوات

لم يكن هذا الفساد مقصوراً على طائفة دون أخرى ، بل كان فاشياً بين جميع الطبقات لا فرق بين رجال الدين وغيرهم . يدلك على ذلك أن البابا « ليو العاشر » قرر على ملأ من الناس ما دل صراحة على أن أمر المسيح لم يكن سوى خرافة تناقلتها الأجيال الماضية ، وكان لها من الآثار الجليلة ما عاد على الناس بالخير والفلاح . ولقد حذا حذو البابا ليو العاشر كثيرون من القساوسة وأنصار الكنيسة ، فأهملوا أمر الدين وتمشى الإلحاد في نفوسهم ، وقلت مبالاتهم بالوقیعة في الدين والنيل منه ، فكان ذلك إلى أسباب أخرى عاملاً على نبذ التكالييف الدينية ، وانتشار الروح الوثني بين أفراد الشعب الإيطالي .

النهضة الأدبية في الممالك الشمالية

ابتدأت النهضة الأدبية في إيطاليا وبلغت فيها أعلى منازلها ، ومكثت أزماناً طويلة لا يشرق نورها في غير هذا المكان ، ولكن قضى الله ألا تستمر هذه الحركة المباركة زاهية فتية بين الإيطاليين ، فذهبت قوتها ، وركدت ريحها ، وضاع ما كان لها من

بهجة ورواء . على أن سراجها لم يكد ينطفئ في هذه البلاد حتى سطعت طوالها في جهات أخرى من جهات المعمور ، ففي منتصف القرن الخامس عشر أخذت كتب الآداب القديمة بفضل اختراع المطابع تنتشر بين الناس في جميع الأرجاء الأوربية ، وما هي إلا أوقات قصيرة حتى تخطت النهضة جبال الألب وسكنت سبيلها إلى فرنسا وألمانيا وإنجلترا وإسبانيا والبرتغال وممالك أخرى كثيرة . وكان بدء ذلك أن رحلت طائفة من رجال النهضة وعلمائها في إيطاليا إلى الجهات الشمالية ، فأقاموا هناك ، وأخذوا ينشرون علومهم الحديثة ويستميلون الناس إليها ، فرغب القوم فيها وعملوا على ترويجها وأخذوا يدعون غيرهم من علماء الإيطاليين الذين لبوا سراعاً وجاءهم أفواجا . وتلا ذلك أن رحل كثير من الطلاب في الممالك الشمالية إلى إيطاليا لتحصيل هذه العلوم ، فامتلات بهم المدن الإيطالية حتى إذا أبردوا غلتهم عادوا إلى أوطانهم فنشروا بين أهلها ما أتوا به من علوم ومعارف . وما كاد القرن الخامس عشر تنقضى مدته حتى كان للنهضة من الأعوان والأنصار خارج شبه الجزيرة عدد وفير . وفي غضون القرن السادس عشر بلغت هذه الحركة الطيبة أقصى غاياتها في ممالك الشمال

آثار النهضة الأدبية في ممالك الشمال

كانت آثار النهضة الأدبية في ممالك الشمال تختلف كثيراً عنها في موطنها الذي ولدت فيه ، فلم يتسرب إلى أهلها ذلك الروح الوثني ، ولم يجد فساد الأخلاق إلى نفوسهم سبيلاً . أضف إلى ذلك أن النهضة الأدبية قد ساعدتهم على إصلاح عقائدهم الدينية وتخليص المسيحية من بعض ما شابها من خرافات وأباطيل . ويرجع السرف في ذلك إلى ما طبع عليه أهل الشمال وبخاصة الألمان من اعتدال الأمزجة ورسوخ الفضائل وشدة العناية بالمحافظة على الدين والآداب ، إلى غير ذلك من الصفات التي صار بها الألمان في طليعة الأمم ، والتي ساعدتهم على أن يجنوا خيراً من حيث جنى الإيطاليون شراً .

ومن وجوه الاختلاف بين النهضتين أن النهضة في إيطاليا كانت تعمل على رفع حياة

الفرد وتحصيل الفوائد الشخصية ، ولكنها فى المانيا كانت مصروفة إلى رفع مستوى الحياة الاجتماعية وإصلاح أحوال الجماعات ، ولا سيما ما يتعلق منها بالأخلاق والدين .

التربية الأدبية والنهضة

يراد بالتربية الأدبية تلك التربية التى جاءت بها النهضة ، والتى عمادها دراسة اللغات والآداب الإغريقية واللاتينية ، إلا أن هذه التربية لم تكن على نسق واحد فى جميع أزمان النهضة ، وفى الأزمان الأولى كانت واسعة النطاق ، نبيلة الأغراض تشبه ما كان معروفاً عند قدماء اليونان والروم بالتربية الكاملة . وفى العصور الأخيرة من عصور النهضة ضاق نطاقها وأصبحت لا غرض لها إلا تكوين رجال يُجيدون اللاتينية والإغريقية ، ويحسنون الخطابة والكتابة بهاتين اللغتين ، ولذلك سميت بالتربية الأدبية القاصرة . وإليك تفصيلاً شافياً يشرح لك حقيقة كل من التريبتين .

(١) التربية الأدبية الكاملة فى أوائل النهضة

فى العصور الأولى من عصور النهضة أقبل الناس على دراسة اللغات القديمة وآدابها ، وشغفوا بإحياء الآداب الإغريقية واللاتينية ، إلا أن ذلك كله لم يكن غرضاً فى نفسه ، ولا غاية مقصودة لذاتها ، بل كان وسيلة إلى إحياء نوع من التربية سلكته أمة اليونان قديماً ، وتابعتها فيه دولة الروم . تلك هى التربية المعروفة عند القدماء بالتربية الكاملة التى تعمل على إنماء جميع القوى الكامنة فى الإنسان جسمية وعقلية وخلقية ، والتى ترمى إلى تكوين رجال قادرين على الاشتراك فى أنبل أعمال الحياة الاجتماعية . ولذلك كانت رسائل المربين فى العصور الأولى من عصور النهضة ممتازة عن رسائل المتأخرين بإحياء فكرة هذه التربية الكاملة واختيار أغراض لها تشبه الأغراض التى وضعها المربون الإغريق واللاتينيون . على أن كتاب هذه الرسائل كثيراً ما كانوا يقتبسون عند تعريف التربية وذكر أغراضها نفس العبارات والألفاظ التى سبق إلى استعمالها فى ذلك أفلاطون وأرسطوطاليس وكوثيليان وغيرهم من أساطين الأمتين

غاية هذه التربية : كتب « پولس فرجرياس » (١٣٤٩ - ١٤٢٠) أحد الأساتذة في جامعة بادوا رسالة في التربية سنة ١٣٧٤ كان لها شأن عظيم في البلاد الإيطالية ، حتى لقد بلغ من عناية المربين بها وإعظامهم قدر ما جاء فيها أن أوجبوا قراءتها في المدارس ، وحثوا دراستها دراسة وافية متقنة .

تناول فرجرياس في هذه الرسالة أغراض التربية فقرر أن التربية الكاملة هي التي ترمي إلى تكوين نفوس حرة حكيمة مهذبة ، والتي تعمل على إثارة ما في الإنسان من القوى الجسمية والعقلية والخلقية على وجه منتظم متناسق . ولقد فرق بين هذه التربية الكاملة وتلك التربية العملية المحضة التي مال كثير من الناس إليها في تلك الأزمان في قوله « إن النفوس المنحطة الدنيئة هي التي ترى غاية الحياة في تحصيل المنافع والملاذ ، أما النفوس العالية النبيلة فهي التي ترنو إلى الفضيلة والصيت البعيد » .

انقل فرجرياس من البحث في أغراض التربية إلى موضوعات الدراسة وأساليبها فأسهب في ذلك أي إسهاب ، ولا عجب فإنه من هاتين الجهتين كان الخلاف الظاهر المحسوس بين التربية الكاملة وتربية القرون المظلمة .

خواص هذه التربية : تمتاز التربية الكاملة بجملة أمور كانت مرعية عند اليونان والروم ، مهمة كل الإهمال في القرون الوسطى وإليك بيانها : -

(١) الحرص على دراسة اللغات والآداب القديمة ، واتخاذ ذلك وسيلة إلى تكوين رجال قادرين على القيام بواجبات الحياة الاجتماعية .

(٢) إحياء التربية الجسمية بمد أن أهملت في القرون الوسطى ، ولقد كان هذا الإهمال نتيجة التربية السائدة في هذه الأزمان ، فإن المربين في تلك القرون كانوا ينحون بالتربية منحى دينياً محضاً ، ويرون غايتها إعداد النشء للحياة السعيدة في الدار الآخرة ، فاستتبع ذلك إهمال الجسم .

(٣) العناية بالسلوك والأخلاق ، والعمل على تربية قوى الحكم في النشء تربية عملية تسهل عليهم الفصل فيما يعرض عليهم من الحوادث .

- (٤) الاهتمام بالجانب العملى الاجتماعى من الحياة .
(٥) العناية بالفنون الجميلة وأخذ النشء بما يساعدهم على إدراك حسن الأشياء ومعرفة وجوه الجمال فيها ، فإن هذا هو مثار اللذات النقية ، ومنبع السعادة الحقيقية .
وقد دعا رجال القرون الوسطى إلى إهمال هذا ما ساد فيهم من الميل إلى الزهد ، والرغبة فى الابتعاد عن ملاذ هذه الحياة .

(٢) التربية الأدبية الفاصرة

فى أوائل القرن السادس عشر أخذ الناس يدرسون اللغات لذاتها ، ويرونها غرضاً مقصوداً فى نفسه ، لا وسيلة إلى حياة حرة فاضلة مملوءة بالأعمال الصالحة النافعة كما كان يراها أهل العصور الأولى من عصور النهضة ، فأنتج هذا التغير نوعاً قاصراً من التربية يرمى إلى تكوين رجال يلهجون بلغة لاتينية فصيحة بليغة . وقد نال هذا النوع الجديد من التربية قبولاً عند الناس ، فنسّوا به تلك التربية الكاملة واحتفظوا به أجيالاً عدة حتى لقد دام سلطانه قوياً فى المدارس الأوربية من بداية القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر ، وحتى أصبحت التربية الأدبية متى أطلقت لا تنصرف إلا إليه .

وجوه القصور فى هذه التربية : لم يكن لتربية الأجسام نصيب يذكر فى هذه التربية ولم يعمل فيها المربون عملاً ذا بال فى سبيل إعداد النشء للحياة الاجتماعية الصالحة ، فلم يدرسوا لهم تاريخاً ولا اقتصاداً ولا غيرهما من علوم الاجتماع ، ولم يأبه أحد من رجالها بدراسة ظواهر الطبيعة وآثار الوجود . أما الفنون الجميلة التى نالت منزلة سامية فى التربية الكاملة فإنها نزلت إلى أحط منازلها ، ولم يبق منها إلا ما هو خاص بملاحة التراكيب وجمال الأساليب فى اللغة اللاتينية . ولقد أصبح غرض التربية منحطاً مقصوراً على تحصيل اللغات القديمة ومعرفة آدابها ، وتخرج خطباء مفوهين وكتّاب مجيدين . وقد بلغ هذا الانحطاط غايته فى القرن السابع عشر ، حين أصبح التعليم فى المدارس لا يزيد على دراسة تمرينات مطولة فى قواعد هذه اللغات وأساليبها من غير عناية بما حوته من معان وأفكار .

غاية هذه التربية ومناهجها وأساليبها : غاية هذه التربية معرفة الآداب القديمة وإجادة اللغة اللاتينية كتابة وكلاماً . ومواد دراستها تكاد تنحصر فيما يأتي : -

(١) تمرينات مطولة في قواعد اللغة اللاتينية .

(٢) مختارات من مشور هذه اللغة ومنظومها مع فضل عناية بنماذج من كلام شيشيرون

(٣) قطع تختار من التوراة والإنجيل .

(٤) بعض مما كتب باللغة اللاتينية في قواعد الإيمان .

(٥) بعض من الرسائل الدينية المحررة باللغة الإغريقية .

ولعلك بما تقدم ترى ما في هذه المناهج من القصور والرجوع بالتربية إلى دائرة ضيقة لا تفتح للإنسان مسلكاً للنجاح في هذه الحياة .

أما أساليب التعليم فلم يُراع فيها طبائع الأطفال ، وكان المربون يرونهم صوراً مصغرة للرجال ويزعمون أن مداركهم وإن اختلفت عن مدارك هؤلاء في القوة لا تختلف عنها في النوع . ومن ثم كان الطفل بمجرد مجيئه إلى المدرسة يؤخذ بتحصيل اللغة الأجنبية قبل أن يعرف لغته قراءة وكتابة . وكان الأساس في تعليم اللاتينية دراسة القواعد ، والاعتماد على الحوافظ ، وتحميل القوى العقلية الضئيلة ما لا تطيق من التمييز بين التراكيب والأساليب . لذلك لم يكن عجباً أن كانت أعمال التربية شاقة على المعلمين مبعضة إلى التلاميذ . ومما زاد الطين بلة ذلك النظام القاسى الشديد ، وتلك العقوبات البدنية التي جرى عليها المربون في حمل تلاميذهم على التحصيل وحسن السلوك .

رجال التربية الأدبية في إيطاليا أزمان النهضة

من أكبر رجال التربية الأدبية في إيطاليا « بترارك » (١٣٠٤ - ١٣٧٤) ، و « بوكاشيو » (١٣١٣ - ١٣٧٥) ، و « برزيزا » (١٣٦٠ - ١٤٣١) ، و « فترينو » وغيرهم ، وقد سبق لنا كلام مجمل في بعض هؤلاء . ولنذكر الآن كلمة مفصلة عن فترينو نشرح بها أعماله في التربية لتكون مثلاً لأعمال الآخرين

فُتْرِينُو

هو عمدة المربين الإيطاليين ، وزعيم التربية الأدبية في هذه البلاد ، وأول أستاذ من أساتذة المدارس ظهر فيه الروح الجديد والمبادئ الحديثة التي جاءت بها النهضة ، ولم ينل شهرته هذه من طريق الكتابة والتأليف في موضوعات التربية ، فإن رسائله ومؤلفاته قد بادت جميعها ولم يبق له شيء منها ، وإنما يرجع السرفى عظمتة وبُعد صيته إلى ما كان له من التأثير في تلاميذه ، وما كان لمدرسته من الآثار الخالدة الباقية .

كان فُتْرِينُو من الذين أنجبهم النهضة في عصورها الأولى . وقد ولد سنة ١٣٧٨ وتوفي سنة ١٤٤٦ ، وصحب برزيزا زعيم النهضة الأدبية اللاتينية ، واشتغل بالتعليم الخاص في بادوا ، وفنيس ، ونصب نفسه للتدريس العام مدة في جامعة بادوا قبل إنشاء مدرسته التي رفعت ذكره ، وخلدت أثره . وحديث هذه المدرسة أن أمير «منتوا» رغب أن يكون في قصره مدرسة على النمط الحديث تدرس فيها العلوم الجديدة ، وتنافس ما في قصور الأمراء المجاورين له من المدارس المنشأة على هذا الطراز ، فدعا إليه فُتْرِينُو سنة ١٤٢٨ وأطلعه على ما في نفسه ، وطلب إليه أن يقوم بإنشاء المدرسة ، فلبى الطلب ، ومضى الى العمل ، وكان فُتْرِينُو إذ ذاك في الخامسة والأربعين من عمره ، معروفًا بالصالح والتقوى ، ضليعًا في علوم النهضة ، حجة في الآداب الإغريقية واللاتينية والرياضة ، ممتازًا بالكفاية والدراية بأعمال التعليم ومقاصد التربية .

ابتدأ فُتْرِينُو مدرسته ولم يجعلها وقفًا على أولاد الأمراء والاعيان في مدينة «منتوا» كما كان القصد من إنشائها ، بل أدخل إليها بترخيص من أميره أولاد أصدقائه وأحبائه ، ومن شام فيهم مخايل النجابة من أولاد الفقراء . وكان لتلاميذه جميعًا كالأب الرحيم يساكنهم ويتفقد طعامهم وشرابهم وثيابهم ، ويعنى بصحة أبدانهم وقوة جسومهم ، ويشاركهم في ألعابهم ومسراتهم ، ويعطف عليهم في بأسائهم وضرائهم . وقد كان عظيم العناية باختيار مدرسيه ، شديد الاحتراس عند انتقاء خدمه ، مخافة أن تسرى الأخلاق الفاسدة إلى التلاميذ ، ورغبة في الوصول بآدابهم إلى أرقى ما يستطيع لها من درجات الكمال .

أما أغراض التربية في هذه المدرسة فحدث عن نبأها ولا حرج ، فقد قصد قترينو أن ينمي في تلاميذه جميع القوى الكامنة فيهم جسمية وعقلية وخلقية على وجه منتظم متناسق وفي آن واحد ، بحيث لا تهمل واحدة من هذه القوى على حساب غيرها . وهذا بعينه ما كان يقصد إليه قدماء الإغريق في تربيتهم الكاملة . ولقد كان من أكبر مقاصده أن يجعل تلاميذه رجالاً جِدَّ وعمل قادرين على مغالبة الحوادث وتصريف الأمور ، لا محضَ خطباء يُدَّأُون بما فيهم من بلاغة منطق وحسن بيان . لذلك صرف أكثر عنايته إلى الجانب العملي الاجتماعي من حياة الإنسان .

مناهج الدراسة وأساليبها في مدرسته

رأى قترينو أن في دراسة آداب الإغريق والروم عوناً على تحصيل غاياته من التربية ، فاهتم بتعليم تلاميذه لغتي هاتين الأمتين ، وابتكر من أساليب التعليم ما جعل التحصيل سهلاً سريعاً . ذلك أنه ابتدأ باللغة اللاتينية وحدها ، فجعل يعلمها التلاميذ بمجرد دخولهم في مدرسته ، ويحرص كل الحرص على جعلها لغة الحديث بين الأطفال من الصغرى ، ووسيلة التخاطب بينه وبين تلاميذه . وكان يأخذ المبتدئين منهم بتمرينات في تجويد حروفها وحسن النطق بكلماتها ، حتى إذا قاربوا العاشرة من أعمارهم أخذهم بحفظ مختارات من شعرها ونثرها ، وراضهم على إلقائها إلقاءً يتمثل فيه الفهم الصحيح والأداء الحسن . وكان يتدرج بهم في هذه المحفوظات من السهل إلى الصعب ، ومن المختارات القصيرة إلى الطويلة ، على حسب تدرجهم في السن ، وارتقاؤهم في المدارك . ولقد زودتهم هذه المحفوظات بمعارف وافرة في متن اللغة اللاتينية ، وبصرتهم بأساليبها الصحيحة الراقية ، وعودتهم حسن النطق وجودة الإلقاء ، فلا غرو أن كانت أقوى وسيلة في تحصيل هذه اللغة . وكان إذا وصل بتلاميذه إلى درجة راقية في هذه اللغة أخذهم بدراسة المؤلفات اللاتينية ، واختار لهم من بينها أعذبها لفظاً وأفصحها أسلوباً ، ولا يلبث بعد ذلك أن ينتقل بهم إلى دراسة الآداب الإغريقية دراسة واسعة . ومن المواد التي اهتم أيضاً بدراستها الرياضة ، وقد درسها لتلاميذه بشيء من

التوسع ، ولا سيما ما يتعلق منها بالرسم ومسح الأرض وهندستها . وكان يعتمد في تعليمه على الإملاء ، لأن الكتب في زمنه كانت قليلة نادرة صعبة المئال . ومما عاونه على النجاح في أعماله عنايته بدراسة طبائع الأطفال ، وحرصه على تعرف ما كان يظهر فيهم من أنواع الاستعداد ، واهتمامه بالنظر في مستقبل تلاميذه واحداً واحداً . كل ذلك ساعده على أن يختار لكل تلميذ من مواد الدراسة وأساليبها ما يلائم طبعه واستعداده . وبذلك كان منهاج الدراسة في مدرسته مارنا جداً .

هذه أعماله في التربية العقلية . أما التريبتان الجسمية والخلقية فلم يكن نصيبهما من عنايته واهتمامه بأقل من تلك ، فقد كان يأخذ تلاميذه بتمرينات مدرجة في الطعان والمصارعة والرقص ولعب الكرة والجري والوثب ، وكان له في جميعها القدح المعلى ، يحسنها ويمجدها كل الإفادة . فلا عجب أن عشق تلاميذه الأعمال الجسمية والألعاب النافعة في إصلاح الأبدان وتعويدها الخفة والرشاقة في الحركات والسكنات ، فإن غرام الأستاذ بفن من الفنون يسرى منه إلى تلاميذه . على أنه لم يكن يقصد بهذه التمرينات الجسمية سوى استمالة القوى العقلية إلى أعمالها ، ومساعدتها على النماء والارتقاء . كذلك بالقدوة الطيبة والنصح والإرشاد ، كان يحمل تلاميذه على تقوى الله وخشيته ومراعاة أحكام الدين والسير في حدودها . ولقد بقيَ تلاميذه في هذه المدرسة يعمل على إعلاء شأنها وإسعاد تلاميذها حتى مات سنة ١٤٤٦

المربون الألمان في أوائل النهضة

من أوائل رجال النهضة الأدبية في ألمانيا « چون فيسل » (١٤٢٠ - ١٤٨٩) . و « رُودلف أجريكولا » (١٤٤٣ - ١٤٨٥) . و « اليكسندر هيجيس » (١٤٢٠ - ١٤٩٥) . و « چون ريشلين » (١٤٥٥ - ١٥٢٢) . و « يعقوب ومفلنج » (١٤٥٠ - ١٥٢٨) . وجميعهم يعدون في الطبقة العليا بين المربين الألمان . وترجع عظمتهم في عالم التربية إلى ما لهم من الآثار الحميدة في تشجيع العلوم الحديثة ، ونشر الروح الجديد بين الطلبة الألمان ، أكثر مما ترجع إلى تكوين آراء خاصة في التربية ، أو وضع أنظمة جديدة تسير عليها المدارس .

إِرْزَمَسْ

هو دِرْزِيدْرِيسْ ارزمس أشهر زعماء النهضة الأدبية ، وأنضج أهل زمانه فكراً ، وأصفاهم ذهنًا ، وأحدهم خاطراً . كان وهو حدث متوقد الذكاء حاضر البديهة حتى تنبأ كثير من أستاذه ومعلميه أن سيكون له في مستقبل حياته شأن عظيم . ومما يؤثر في ذلك



إِرْزَمَسْ

أن أحد معلميه من فرط إعجابه بذكائه أقبل عليه ذات يوم فاحتضنه وقال له : « ستصل يوماً ما إلى أرفع قمم العلوم والمعارف » . ورآه رودلف اجريكولا وهو في الثانية عشرة من عمره ، فشام فيه من دلائل الذكاء ومخايل النجابة ما لم ير مثله في حدث غيره ، فقال له : « ستكون يا بني في يوم من الأيام عظيماً من عظماء الرجال » ، وذلك تنبؤ ما كان أسرع الأيام إلى تحقيقه وتصديقه .

منشؤه وسرباه :

ولد إِرْزَمَسْ سنة ١٤٦٧ في مدينة رُتْرْدَام إحدى المدن الشهيرة في الأراضي المنخفضة . وهو يمت إلى الألمان بصلة ، فإنه ينتسب إلى الجنس التيتوني . وقد يمتة الأيام صغيراً ، فوضعه أوصياؤه في دير يتعلم فيه ليكون فيما بعد راهباً ، وعلى الرغم من مقته حياة الرهبنة أقبل على الدراسة بعزيمة صادقة وغيره صحيحة . ولما بلغ التاسعة من عمره دخل مدرسة الكنيسة في «دافنتر» حيث أشرب في قلبه حب العلوم الجديدة علوم النهضة الأدبية ، وحيث وصل من العلم باللغتين الإغريقية واللاتينية إلى غاية بعيدة . ولقد تمكن فيما بعد أن يرحل الى باريس لدراسة العلوم الدينية والآداب القديمة ،

فانخرط في سلك جامعتها ، وصادف في دراسته نجاحاً أي نجاح ، ثم تطلعت نفسه إلى ورود مناهل العلم في بلاد أخرى ، فذهب إلى إنجلترا حيث درس في جامعة أكسفورد ثم إلى ألمانيا وإيطاليا وجهات أخرى كثيرة .

ولقد ظل جميع حياته مكباً على تحصيل العلوم ، لا تهن عزيمته ، ولا تفتر همتته ، على قلة مال وضيق حال . بلغ به حب العلوم أن كان يحرم نفسه ضرورات الحياة في سبيل اقتناء الكتب . ومما يؤثر عنه في ذلك قوله : « إذا وصلت يدي إلى مال عمدت أولاً إلى إنفاقه في شراء الكتب ، فإن زاد شيء بعد ذلك أصلحت به ثيابي » .

أعماله في سبيل خدمة التربية ونشر العلوم :

خدم إرزمس التربية وترك فيها آثاراً حسنة باقية . ولقد لجأ في ذلك إلى الوسائل الآتية :-
(١) التعليم : فإنه في أثناء رحلاته إلى باريس وأكسفورد كان له تلاميذ مختصون به ، يقوم بتعليمهم وتربيتهم ، ولقد كان أول معلم للعلوم الجديدة في جامعة كمبردج ، وقد ظل سنوات عدة وهو يعيش عيشة العلماء الرحالين المتنقلين ، فطاف في كثير من بلاد أوربا في إنجلترا وفرنسا والأراضي المنخفضة وسويسرا وإيطاليا لا يبغي سوى الإفادة والاستفادة .

(٢) المراسلة : وذلك أنه اختار مدينة بازل إحدى مراكز الطباعة الرئيسة في العالم لتكون مقاماً له فأقام بها العشرين سنة الأخيرة من حياته ، وكان في أثناء ذلك على صلة كبيرة بطلبة العلم ورجاله في الممالك النائية . فراسلهم ووصلهم بعلمه وأدبه ، حتى كان أثره في التعليم ونشر المعارف من هذه الطريقة أبلغ من أثره حين كان على اتصال بالمدارس والجامعات .

(٣) التأليف لإزالة أذهان الجمهور : - لقد لجأ إرزمس إبان إقامته بمدينة بازل إلى تأليف الكتب والرسائل في نقد الكنيسة وما انتشر بين رجالها من الجهل والفساد ، وفي التنديد بما ساد المجتمع من أنواع السيئات . ومن جمال كتبه أنه لم يقصر كلامه فيها على النقد والتنديد ، بل شفعه بتفصيل شاف في الإرشاد إلى طرق الإصلاح والحث

على التماس الفضائل في مطالعة آداب القدماء . ولقد كان نجاحه في تشجيع النهضة وتحبيب علومها إلى الناس من هذه الطريقة ، يفوق نجاحه في الطريقتين السابقتين . وليس هناك من بين العلماء والمؤلفين من كتب أكثر منه إلا نفر قليل . على أنه لا يعرف في التاريخ كاتب أو مؤلف رزق في تأليفه مثل سعادته ، فقد عاش حتى رأى كتبه تنتشر بين الناس هذا الانتشار الواسع العجيب . ولقد كان أسلوبه في أغلب مؤلفاته نقدياً تقرّيعياً يشوق القارئ ، ويستميلهم إلى المطالعة . ومن أشهر مؤلفاته التي ظهرت على هذا الأسلوب ما يأتي : -

أ مدح الجهالة : وهو مؤلف نقدي تقرّيعي كتبه ليسخر فيه من جهالة الرهبان ، وما انغمسوا فيه من أنواع المفاصد .

ب المحاورات : وهي جملة بحوث تحاورية بين فيها العيوب المنتشرة في الكنيسة والحكومة والمنزل والجامعات

ج الأمثال . وهي مجموعة من أقوال الإغريق والروم القدماء تلخص فيها حكمهم ، وقد اختار هذه الأقوال وأردف كل قول بما يحتاج إليه من شرح وتعليق ليكون ذلك مرشداً إلى إصلاح ما هو سائد بين الناس من أنواع الفساد .

د كتب المحادثات القصيرة : وهي جملة من الكتب تعالج موضوعات مختلفة دينية وخلقية . ولقد كانت هذه المؤلفات من أكبر الوسائل التي أصبح لها إرزمس قوة عظيمة من قوى الإصلاح في زمنه لا يفوقه في ذلك سوى مرتين لوثر . وقد جهد جميع حياته أن ينير أذهان الجمهور وأن يقدم إليهم من الكتب المقدسة ما هو محرر خال من كل خطأ وتحريف .

(٤) الإكثار من طبع كتب الآداب الإغريقية واللاتينية . وقد كان غرضه من ذلك أن يقدم للناس معارف صحيحة محررة عن آداب هاتين الأمتين وعلومهما وأن يختار من كتبهم ما يساعده على بيان ما في زمنه من ضروب الفساد وأنواع التقيد .

(٥) تأليف الكتب المدرسية : فقد ألف كتباً في قواعد اللغتين القديمتين وكتباً أخرى للمطالعة والقراءة في المدارس . ومن أشهر هذه الكتب وأكثرها انتشاراً تاريخ التديبة (٢٨)

بين التلاميذ كتاب المحاورات . ويعد هذا العمل من أكبر أعماله التي ساعدت في إنهاض التربية والتعليم .

(٦) بحوثه في موضوعات التربية : فقد عالج كثيراً من مسائل التربية ومشاكلها ، وترى ذلك مبسوطاً كل البسط في بعض من كتب المحاورات والمحدثات ، وفي كتابه المدعو « طرق الدراسة » ، وفي كتاب التربية الحرة الكاملة للأطفال .

آرائه ومبادئه في التربية

لإرزمس آراء سديدة ، ومبادئ نبيلة في التربية عني بها زعماء المربين الذين أتوا بعده ، ولا نغالي إذا قلنا إنه ليس من بين أئمة التربية في القرنين السادس عشر والسابع عشر إلا من نظر في تربية هذا البطل ، وفكر في آثارها ، وإليك مجمل آرائه :-

(١) في مؤلفات الإغريق والروم ورجال الدين وفي الكتب المقدسة ما يكفي لهداية الناس في هذه الحياة ، وفيها جميع ما يحتاج إليه في إصلاح الفساد المنتشر بين الناس على شرط أن يرجع الناس في دراستها إلى أصولها الصحيحة لا إلى تراجمها المحرفة المشوهة . وعلى هذا فاهم الأعمال المدرسية تنحصر في دراسة مختارات كثيرة من هذه المؤلفات دراسة متقنة يصل بها الإنسان إلى روح ما فيها من المعاني والأفكار . أما الدراسة المقصورة على تعرف الصيغ الكلامية وما فيها من وجوه البلاغة فلا تنفع في شيء .

(٢) يجب أن تتخذ قواعد اللغة أساساً لجميع الأعمال المدرسية ، على شرط أن يتبع في دراستها من الطرق ما يساعد على تحصيل الآداب .

(٣) يجب أن يستعان بدراسة الطبيعة والتاريخ وأحوال الحياة الحاضرة على إيضاح ما حوته الآداب القديمة من علوم ومعارف ، كما يجب أن يستعان بدراسة هذه الآداب على إصلاح المجتمع .

(٤) لا بد من بذل الوسع في نشر العلوم والمعارف بين الناس نشرًا فسيح المدى ، وأن ينال منها النساء حظاً وافراً أسوة بالرجال .

(٥) يجب أن يعنى كل العناية بالغرض الخلقى من التربية ، وأن تنال التربية الدينية نصيباً وافراً من عناية المربين

(٦) على المربين أن يتجافوا عن الطرق الوحشية المألوفة في تأديب التلاميذ ونظامهم ، وأن يسلكوا طرقاً أخرى أقرب إلى الحنان والرحمة
(٧) دراسة طبائع الأطفال أكبر عون للمعلمين على النجاح فيما يعانونه من أعمال التربية .

(٨) الأم هي المربية الطبيعية للطفل في سنواته الأولى . وكل امرأة لا تشغل نفسها بتربية أبنائها ولا تُعنى بتنشئتهم فهي نصف امرأة .

(٩) يجب أن يظل الطفل إلى السابعة من عمره وعماد تربيته اللعب ، فإن اللعب خير عون على إثناء جسمه .

(١٠) إذا وصل الطفل إلى السابعة من عمره وجب على مربيه أن يأخذه بكثير من الأعمال الجدية ، وأن يسارع إلى تعليمه اللغتين الإغريقية واللاتينية معاً ، فإن تعليم اللغات في الصغر يسهل على الحدث النطق الصحيح ، ويعينه على سرعة تعليق المفردات والتراكيب .

(١١) يجب أن يهتم بإعداد المعلمين إعداداً صحيحاً كاملاً ، وأن تزداد روايتهم زيادة تلائم أعمالهم العظيمة النافعة ، وأن توجه العناية إلى إصلاح أماكن الدراسة ومعاهد التعليم .

(١٢) ينبغي أن يُجهد المربون نفوسهم في تربية قوتي الحفظ والذكر في الأطفال .
ووسائل هذه التربية ثلاث : -

(١) فهم موضوعات الدراسة فهماً صحيحاً منقناً .

(٢) ترتيب المعاني والأفكار في الذهن ترتيباً منطقياً

(٣) مضاهاة الحقائق وقياس بعضها إلى بعض ، والبحث فيما بينها من وجوه الاتفاق والاختلاف .

(١٣) كما يطوف النحل على الأزهار المختلفة الكثيرة ، ويتنقل بين أفنان الأشجار يجمع منها العسل الذي يريده ، كذلك ينبغي أن يكون حال الإنسان في تحصيل العلوم ، فعليه أن يرد موارد مختلفة ، وأن ينهل من كل منهل .

(١٤) تربية البنات واجبة ، وأول واجب في تربيتهن غرس الإحساس الديني فيهن ، والواجب الثاني حمايتهن من الدنس والفساد ، والواجب الثالث حفظهن من البطالة والكسل .

رجال التربية الأدبية في إنجلترا أزمان النهضة

لم يكن بين رجال النهضة في إنجلترا من يصح عده زعيما من الزعماء الذين سار ذكرهم ، وبعْدُ صيتهم . فلا عجب أن كان رجال تربيتها في ذلك الوقت من الزفر الذين لم تتعد آثارهم حدود بلادهم . ومن أشهرهم « وايم جرُوسين » . و « حَنَّا شيك » و « روجر أسكام » ، ولنترجم الثالث من هؤلاء فإنه أعظمهم أثراً ، وأبعدهم ذكراً .

رُوجَرُ أُسْكَام

هو أشهر رجال التربية في إنجلترا في ذلك الوقت ، ويرجع سر شهرته إلى أمرين : -
أولها أنه كان من أسبق كتاب الانجليز الذين كتبوا رسائل في التربية بلغتهم الوطنية ، وثانيهما أنه امتاز بأسلوب كتابي سهل ممتنع جعل له مكانة عالية بين متأدبي عصره .
ولد روجر أسكام سنة ١٥١٥ ، ودرس علوم النهضة في كمبردج ، ونبغ فيها حتى خلف أستاذه « حَنَّا شيك » في تدريس اللغة الإغريقية بهذه الجامعة . وفي سنة ١٥٤٨ اختير معلماً للأميرة اليصابات (ملكة إنجلترا فيما بعد) . ولم يمض على ذلك غير قليل حتى اختير ناموساً لاتينياً للملك ادوارد الرابع ، ثم للملكة ماري ، ثم للملكة اليصابات على التعاقب .

ومن أشهر آثاره التي خلدت ذكره رسالة في التربية كتبها بأسلوبه البين ، ودعاها « المعلم » وضمنها آراء ومبادئه في التربية العلمية والعملية ، لكنها لم تنشر على الناس الا بعد وفاته بسنتين ، نشرتها أرملته سنة ١٥٧١ . ويعد هذا الكتاب من أسبق الكتب التي أُلِّفَتْ في التربية ، وقد قسمه مؤلفه قسمين ، خصَّ الأول منهما بوضع مبادئ عامة يسار عليها في تربية الأحداث ، والثاني بشرح طريقة سديدة في تعليم اللغة اللاتينية .

وعلى الرغم من قصوره التربوية في كتابه على التربية المدرسية كما يدل على ذلك عنوان الكتاب ، فقد وضع لها من الأغراض ما لا يختلف عن أغراضها عند رجال التربية الأدبية في الممالك الأخرى ، فقرر أن غاية التربية الفضيلة والقدرة على الأخذ بنصيب وافر من أعمال الحياة الاجتماعية ، غير أنه يرى أن مطالعة الآداب هي أقوم الوسائل لتحصيل هذه الغايات. ولقد عاب في كتابه هذا ما كان مألوفاً في المدارس وبين رجال التعليم في زمنه من مخاشنة الأطفال والقسوة عليهم في التعليم ، وأوجب أن تسلك سياسة اللين والرفق في معاملتهم فإن ذلك أصلح للأخلاق وأتجح للتعليم . ومن آرائه في تعليم اللغة اللاتينية أن يعتمد في دراسة قواعدها على أمثلة كثيرة مختارة من أقوال الكتاب المجيدين لا على مجرد شرح القواعد والتعاريف، وهو رأى أصيل أخذ به المعلمون وجعلوه أساساً لتدريس اللغات فيما بعد . وله فوق ذلك إرشادات ونصائح أخرى في طرق التعليم كثيرة الشبه بآراء إرزمس ، ولذا لا نرى حاجة إلى إعادتها .

كان أسكام شديد الشغف بلغة وطنه يجيد الكتابة والأليف بها كل الإجازة ، ويفضلها في ذلك على اللاتينية ، وقد وصف الناس أسلوبه الأدبي الذي كتب به كتابه السالف الذكر بأنه أول أسلوب سهل مذهب ظهر في اللغة الانجليزية . وقد كانت وفاته سنة ١٥٦٨ .

مدارس النهضة الأدبية

كان أول مظهر لتأثير النهضة في التربية أن سرى روحها في معاهد التعليم المنتشرة وقتئذٍ ، ولا سيما الجامعات والمدارس البلدية الحديثة العهد على ميل في بعضها الى حب القديم والجمود عليه . ثم تلا ذلك إنشاء أنواع جديدة من المدارس تلائم الروح الجديد كل الملائمة ، وتطابق الأفكار التي جاءت بها النهضة كل المطابقة ، وبذا فشت مدارس التربية الأدبية وأصبح لها غلبة وسلطان ، إلا أن ذلك التغير الأخير لم يأت إلا بعد أن أخذت حركة النهضة تندمج في حركة الإصلاح الديني . ومن هنا كان لهذه المدارس اتصال وثيق بهذا الإصلاح .

زهت هذه المدارس أزمانًا ، ولكنها ما كادت تبلغ نهاية القرن السادس عشر حتى ظهرت على التعليم فيها مسحة من التقيّد كَبَلَتْ أساليبه ومناهجه بقيود لا ثقل في شدتها عن قيود التعليم في القرون الوسطى . وقد ظل التعليم على هذا النمط المقيّد أجيالاً عدة ولم تقم للناس قيامة عامة ضده إلا بعد أن مضى من القرن التاسع عشر جزء يذكر . نعم ظهرت في أثناء ذلك آراء حديثة في التربية ، ولكنها لم تأخذ مأخذاً عملياً واسعاً ، بل لم تزد على أن كانت مظهرًا من مظاهر الاعتراض والطعن على أساليب هذه المدارس ونظمها ومناهجها الضيقة المقيدة .

الجامعات

ينطبق هذا القول العام على الجامعات كل الانطباق ، فقد كان لما جرت عليه قديماً من النقايد الخاصة أثر شديد في مقاومة روح التعليم الحديث أزماناً طويلة . نعم ضعفت هذه المقاومة على مر الأزمان ، ووجدت العلوم الحديثة فيما بعد سبيلها إلى هذه الجامعات ، إلا أن القيود التي تقيدت بها هذه المعاهد في مناهجها وأساليبها ونظمها وأغراضها بقيت مرعية بعض المراعاة على الرغم مما حدث فيها من التغيير الكثير . وأهم ما حدث فيها من أنواع التغيير تعديل مناهج الدراسة بإضافة الآداب واللغات القديمة إليها وبخاصة اللغة الإغريقية ، وتحويل دراسة اللغة اللاتينية من صبغتها الدينية إلى صبغة أدبية .

(١) جامعات إيطاليا : كانت جامعات إيطاليا ولاسيما جامعات بافيا ، وفلورنس ، وبادوا ، وميلان ، ورومة ، أسبق الجامعات إلى الترحيب بعلوم النهضة ، وأول موطن دائم لها . ولقد كان لبتارك وبوكشيرو أعظم أثر في إدخال الروح الجديد إلى الجامعات الإيطالية ، ففضل ما كان لها من التأثير القوي أخذ العلماء والطلاب في هذه الجامعات يحوّلون وجوههم عن دراسة القانون وفنون البلاغة والبيان إلى دراسة المؤلفات الإغريقية واللاتينية دراسة متقنة صحيحة لا ترمى إلى تعرف الألفاظ والأساليب فحسب ، بل تقصد فوق ذلك إلى تحصيل ما كان للأقدمين من علوم ومعارف وآراء ، وإلى تفهم طرقهم وأساليبهم في الحياة .

وقد أصبحت دراسة اللغة الإغريقية في القرن الخامس عشر عامة منتشرة في جميع البلاد الإيطالية في جامعاتها ومدارسها ، إلا أنه ما كاد القرن السادس عشر يبتدىء حتى أخذت دراسة الآداب القديمة في هذه الجامعات تنحط وتنزل إلى الحالة المعروفة في التربية الأدبية القاصرة .

(٢) جامعات فرنسا : كانت فرنسا سريعة إلى الأخذ بعلوم النهضة وآدابها ، وقد سهل ذلك عليها أمران : أولهما الصلات الجنسية بين الأمتين الفرنسية والإيطالية ، فكلتاهما من أصل لاتيني . وثانيهما العلاقات والروابط السياسية التي تمكنت بينهما منذ غزا شارل الثامن ملك فرنسا مملكة نابلي سنة ١٤٩٤ . ولهذا أخذت العلوم والآداب القديمة تنتشر في فرنسا انتشاراً واسعاً من بدء القرن السادس عشر . على أن دراسة اللغة الإغريقية في هذه البلاد يرجع تاريخها إلى زمن أسبق ، فقد أسّس في جامعة باريس منصب للغة الإغريقية ، شغله أحد العلماء الإيطاليين سنة ١٤٥٨ ، ولكن الاهتمام بهذه اللغة لم يبلغ شأواً يذكر في هذه الجامعة إلا بعد زمن الغزو ، حين أخذ العلماء والمحترفون بالطباعة من الفرنسيين يقودون الحركة الجديدة داخل الجامعات وخارجها .

(٣) جامعات ألمانيا : لم تجد دراسة الآداب القديمة في البلاد الألمانية أول الأمر من التشجيع ما وجدته في فرنسا ، ولكنها لم تلبث أن وجدت أنصاراً ذوي نفوذ أخذوا بيدها ، فاستمالوا الناس إليها ، ورغبوهم في الاقبال عليها ، وبذلك وجدت سبيلها إلى الجامعات ومعاهد التعليم . وقد أسّس أول منصب لدراسة هذه العلوم في جامعة « إرفُرت » سنة ١٤٩٤ ، وقد كان يدعى وقتئذ بمنصب الشعر والبلاغة . ولما أنشئت جامعة « ويتّبرغ » سنة ١٥٠٢ سارت على مبادئ النهضة من مبدأ نشأتها . ولم تأت سنة ١٥٢٠ حتى كان للتعليم الحديث أثر يذكر في كل الجامعات الألمانية ، وله المكان الأرفع في كثير منها .

(٤) جامعات إنجلترا : أول من قام بنشر التعليم الحديث في إنجلترا طائفة من الطلاب الذين رحلوا إلى إيطاليا في طلب العلم . ومن أعظم هؤلاء الطلاب أثراً « وليم جرّوسين » ،

و «توماس لينكر» ، وقد ذهبوا إلى فلورنس سنة ١٤٨٨ ، وبعد عودتهما اشتغلا بدراسة الآداب القديمة في جامعة أكسفورد . أما جامعة كمبردج فلم تصلها التربية الادبية إلا عند اختتام القرن الخامس عشر ، ولكنها لم تلبث أن بلغت شأواً أختها في ذلك . ولإيرزمس الفضل الأكبر في إدخال هذه التربية إليها ، فقد اشتغل بتدريس اللغة الاغريقية فيها من سنة ١٥١٠ إلى سنة ١٥١٣ . ومن علماء النهضة الذين أنجبته هذه الجامعة في أوائل القرن السادس عشر روجر أسكام ، وقد أسلفنا الكلام عليه .

مدارس الأمراء والأعيان

كانت مناوأة الجامعات والمدارس الكنسية للتعليم الحديث سبباً في نهضة الأمراء والأعيان به ، وقيامهم بتأسيس نوع جديد من المدارس يتمشى فيه الروح الحديث ، وينفسح فيه المجال للآداب والمعارف القديمة ، وكان ذلك ظاهراً جلياً في المملكتين الإيطالية والألمانية .

في إيطاليا : نفقت سوق هذه المدارس في كثير من الولايات الإيطالية الصغيرة ، إذ قد تنافس أمراؤها وأعيانها في دعوة علماء النهضة إلى قصورهم ، وتشجيعهم على تأسيس مدارس للآداب والمعارف القديمة تحت رعايتهم . ولقد عظمت المنافسة في ذلك بين الأمراء حتى أصبحت قصورهم في فلورنس ، وفيرونا ، وبادوا ، وفينيس ، وباثيا ، وغيرها من المدن الكثيرة ، تزدهى بما يتصل بها من المدارس الحديثة ، وبمن يتردد إليها من العلماء . ولقد كانت مبادئ هذه المدارس ونظمها تشبه كل الشبه تلك المبادئ والنظم التي سار عليها فترينو في مدرسته ، فقد كانت تعنى كل العناية بتربية الجسوم ودراسة الآداب ، وتميل بالتربية إلى وجهة اجتماعية ، حتى لقد كانت نتيجة ذلك أن امتزجت فيها مبادئ الفروسية القديمة بمبادئ التربية الأدبية الحديثة . أما الصلات بين هذه المدارس وبين الجامعات فقد كانت تختلف كثيراً ، فبينما كان كثير من هذه المدارس ينافس الجامعات ويباريها ، كان بعض منها يصل أعماله بأعمالها ، ويسير هو وإياها على توافق تام ، ولا سيما الجامعات التي كان لها اتصال بقصور الأمراء .

في ألمانيا : كانت مدارس الأمراء التي أسست في ألمانيا في أوائل القرن السادس عشر تشبه مدارس الأمراء الإيطاليين في أغراضها ومناهجها ونفوذها المطلق بين تلاميذها وكذلك في روحها السائد فيها ، وكانت



تخالف المدارس الألمانية التي كانت لها السلطان والغلبة أيام النهضة من وجوه عدة نتلخص فيما يأتي : -

(١) لم تكن تابعة للسلطات البلدية كما كانت مدارس الآداب ، وإنما كانت تابعة للقصور الملكية رأساً .

(٢) كانت كلها مدارس داخلية ، ولذا كان مجالها أوسع ، ونفوذها أعظم في سياسة تلاميذها وتصريف أمورهم .

(٣) كانت ترمى إلى تكوين أبطال وزعماء يسوسون أمور الكنيسة والحكومة .

(٤) كان تلاميذها في الغالب من أولاد الأمراء والأشراف .

(٥) كانت مناهجها أوسع من مناهج الدراسة في مدارس الآداب ولا تقل عن مناهج الجامعات .

هذا ولم تكن هذه المدارس كثيرة العدد في البلاد الألمانية ، ومن أشهرها مدارس فورتنا . وميسن . وجرماً .

مدارس الآداب

هذه هي أهم أنواع المدارس الأدبية في الممالك التيتونية ، وتعد إلى وقتنا هذا أحسن أنواع المدارس الثانوية في هذه الممالك ، وقد تكونت من المدارس البلدية العالية والمدارس الكنسية السائدة في البلاد وقتئذ ، ولكن بعد تغيير مناهجها وتوسيع فيها بإضافة تاريخ التربية (٢٩)

اللغتين الإغريقية والعبرية ، واستبدال الآداب بعلوم الفصاحة والبيان ، واستعاضة الرياضة من صناعة الجدل .

وقد دخل هذا التغيير في مدرسة «نورِ نبرغ» البلدية سنة ١٤٩٥ بإضافة الشعر إلى مناهجها . ثم تلا ذلك إدخال الشعر والخطابة إلى جميع المدارس العالية في المدينة . وفي سنة ١٥٢١ أضيفت اللغات الإغريقية واللاتينية والعبرية إلى المدارس الكنسية القديمة . وماهى إلا فترة قصيرة ثم فشا هذا التغيير في كثير من مدارس المدن الأخرى ، حتى أصبحت مدارس الآداب علماً على المدارس التي دخلها هذا النظام الحديث .

مدرسة الآداب في استراسبرغ : - هى أعظم مدارس الآداب أثراً ، أسسها « جون استيرم » (١٥٠٧ - ١٥٨٩) سنة ١٥٣٨ ، وتولى إدارتها بنفسه نحو أربعين عاماً . وقد قسمها إلى تسع فرق ، وزع فيها العمل توزيعاً مراعى فيه أسنان التلاميذ ومداركهم . وقد كانت أعماله في المدرسة ترمى إلى إجادة اللغة اللاتينية ، وإقدار تلاميذه على محاكاة شيشيرون في الكتابة والخطابة . ولذلك عنى كل العناية بدراسة الآداب اللاتينية ، فأكثر من تمرين تلاميذه على الخطابة والجدل وكتابة الرسائل والكلام في المحافل ، وأخذهم بقراءة كثير من المؤلفات اللاتينية التي كتبها رجال البلاغة وفرسان البيان من الروم . وقد كانت مدرسته واسعة النطاق تحوى من التلاميذ ما يربى على ألف نسلوا إليها من كل حدب ، وكثير منهم من الأشراف والأعيان . وقد نبغ على يديه كثير من الأبطال والزعماء الذين قادوا الحركة الفكرية في زمنه . وقد ذهب إلى أن مقاصد التربية ثلاثة : النقوى ، والمعرفة ، والفصاحة . وأراد بالنقوى احترام الدين ، والقيام بفرائضه ، والعلم بأصوله وقواعده ، وأراد بالمعرفة العلم باللغة والآداب اللاتينية ، وبالفصاحة القدرة على استعمال هذه اللغة في أغراض الحياة استعمالاً صحيحاً . وقد دخلت آثاره إلى مدارس القرن السادس عشر بوسائل كثيرة منها ما يأتى : -

(١) المعلمون الأكفاء الذين نبغوا على يديه ، وانتشروا في كثير من الجهات يعلمون وينشرون مبادئه .

(٢) منهاج الدراسة الذى وضعه لمدرسته ، والذى اتخذه المدارس الأخرى مثلاً أعلى تحاكىه .

(٣) كتبه المدرسية المدرجة على نظام لم يعرف أحكم منه .

(٤) مراسلة الملوك وكبار المربين . ومن الذين أكثر مراسلتهم من رجال التربية أسكام وملنسكتون .

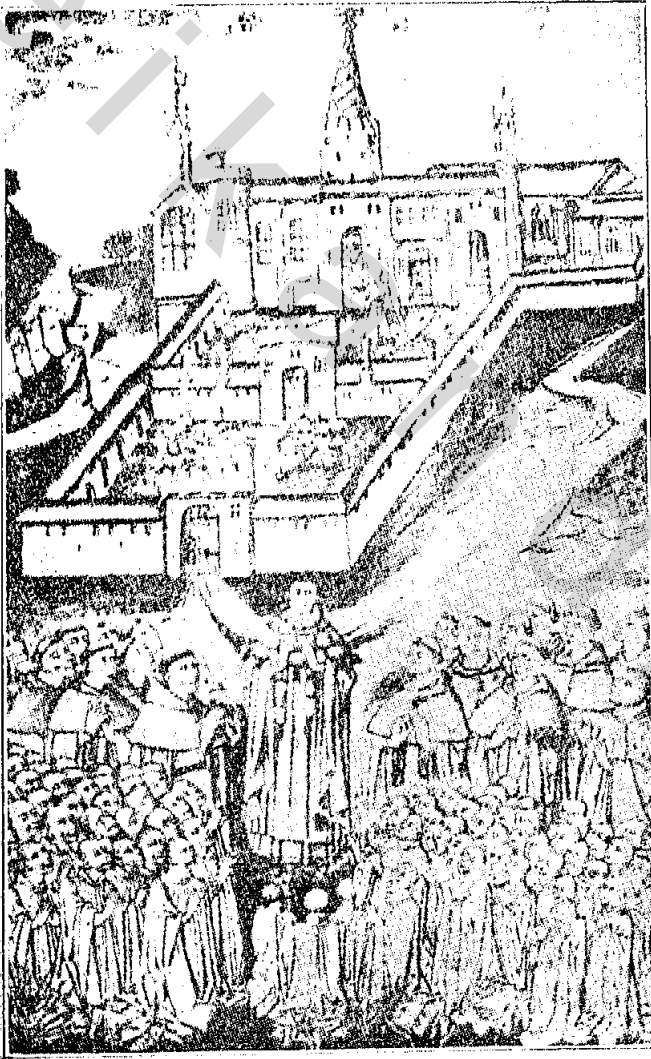
(٥) نصائح الخاصة بإنشاء المدارس ووضع أنظمتها .

كانت مدرسة استرزم من المدارس التى سارت على مبادئ التربية الأدبية القاصرة ، فلم يلتفت فيها إلى اللغة الوطنية ، ولم يعن فيها إلا قليلاً بدراسة الجغرافيا والرياضة . وقد دخلتها اللغة العبرية بعد تأسيسها بسنوات ، فكانت بذلك تمثل مدارس الآداب فى القرن السادس عشر . ولما اختصر فيها منهاج الآداب تدريجاً لإدخال الرياضة أولاً ، واللغة الوطنية والتاريخ ثانياً ، والعلوم الطبيعية ثالثاً ، أصبحت تمثل مدارس الآداب من ذلك الحين إلى وقتنا الحاضر .

المدارس العامة الانجليزية

هى نوع من المدارس الثانوية الإنجليزية كثير العدد ، قديم العهد ، يرجع تاريخ بعضه إلى ما قبل ظهور النهضة فى إنجلترا ، إلا أن الروح الحديث لم يتمش فيه إلا بعد أن أنشئت مدرسة القديس « بولص » فى لندرة سنة ١٥١٢ ، وتعد هذه المدرسة أول مدرسة أنشئت لدراسة الآداب القديمة ، أنشأها « جون كُلت » أحد زعماء النهضة المتقدمين فى هذه البلاد ، ووضع لها من المقاصد والمناهج وطرق الدراسة ما جعلها نموذجاً يحاكي فى كل المدارس العامة الأخرى . ومما زاد فى شهرة هذه المدرسة ذلك الكتاب القيم الذى وضعه كبير أساتذتها « وليم ليلي » فى قواعد اللغة اللاتينية ، فقد أقبلت جميع المدارس الإنجليزية على دراسته أجيالاً عدة ، واتخذته أساساً لتعليم اللغة اللاتينية ، فكان بذلك عاملاً من العوامل التى ساعدت فى تخليد آثار المدرسة وأثار مؤلفه معاً

كانت انجلترا في الوقت الذي أُسِّسَتْ فيه مدرسة القديس بولص تتوج بالمدارس العامة موجًا ، فقد كان فيها وقتئذ نحو ثلثائة مدرسة ، جميعها على اتصال بالكنيسة ، وكلها يرمى إلى تخريج قساوسة ورهبان . وقد اشتهر من بين هذه المدارس العامة تسعة كانت تدعى المدارس العامة العظيمة ، ولا تزال توصف هذا الوصف إلى الآن ، وهي : ونشستر - إيتن - القديس بولص - وستمنستر - كرو - تشارترهوس - رجي شرزبري - مرشانت تيلر . كانت هذه المدارس

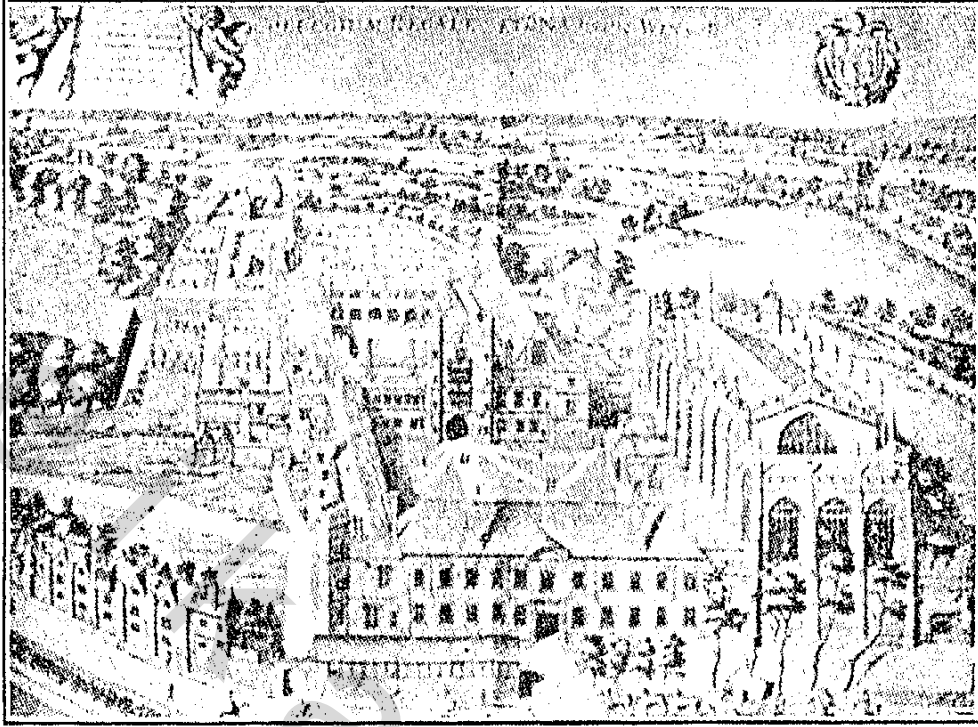


مدرسة ونشستر

العامة جميعها في بدء أمرها دينية تشبه مناهجها مناهج المدارس الكنسية في القرون الوسطى . ولكنها بعد أن أنشئت مدرسة القديس « بولص » لم تلبث أن سرى إليها نفوذ هذه المدرسة الجديدة فاتجهت وجهتها ، وأصبحت تمثل مدارس التربية الأدبية القاصرة التي مر بك شرحها . وقد ظلت على هذه الحال أزمانًا طويلة لا عناية فيها بغير الآداب . وهي وإن

غيرت مناهجها الآن بعض وهي أولى المدارس العامة العظيمة الإنجليزية (١٣٨٧)

التغيير فانفسح فيها المجال لدراسة علوم الرياضة والعلوم الطبيعية واللغة الوطنية واللغات الأجنبية الحديثة ، لا تزال للآداب القديمة فيها المكانة العليا بين المواد الدراسية .



مدرسة إيتن

وهي إحدى المدارس العامة العظيمة الانجليزية (١٦٨٨)

مدارس الآباء اليسوعيين

تعد هذه المدارس أيضاً من مدارس النهضة الأدبية ، وسيأتى لنا فيها بيان مسهب

عند الكلام على التربية في عهد الإصلاح الديني .